﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦﴾ [يوسف: 36]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المنحُ مخبوءةٌ في المِحنِ، ولا يأسَ من فرجِ اللهِ، مهما طالَتِ البليّة

لمّا ذَكَرَ اللهُ ﷻ أنَّهم رأَوا سَجنَ يوسُفَ ﷺ، وكانَ ذلكَ سَبيًا ظاهِرًا في الإهانَةِ؛ شَرَعَ اللهُ سبحانَهُ يَقُصُّ مِن أمرِ يوسُفَ ﷺ ما حاصِلُهُ أنَّه جَعَلَ السِّجنَ سَبَبًا لكرامَتِهِ، إظهارًا لغَلَبةِ اللهِ تعالى على الأمرِ واتِّصافِهِ بصفاتِ القَهرِ، معَ ما في ذَلك مِن إظهارِ تَحَقُّقِ مَوعودِ اللهِ ﷻ ليوسُفَ ﷺ، في دخولِهِ السِّجن وما جرى معه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَتَيَانِۖ﴾: الفاءُ والتّاءُ والحرفُ المعتَلُّ تدلُّ اشتقاقاتُها على مَعنَيينِ كُلِّيَّين؛ أحدهما: الطَّراوَةُ والجِدَّةُ، والآخرُ: تَبيينُ الأحكام[2]، ومِنَ الثّاني: الفَتوى، ومنه قولُ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النّساء: 176].ومِنَ الأَوَّلِ: الفَتِيُّ مِنَ الدَّوابِّ؛ وهُوَ الحَديثُ السِّنِّ، بخلافِ المُسِنِّ منها[3]، ومِنهُ: الفَتى؛ وهو الطَّرِيُّ مِنَ الشَّبابِ، ويُقال للأُنثى: فَتَاةٌ، وقَد يُكَنّى بِهِما عَنِ العَبدِ والأَمَةِ[4]. ومعنى قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَتَيَانِۖ﴾ معناهُ: عَبدانِ مَملوكانِ، ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بهما الخادِمَينِ، وإنْ لم يكونا مملوكَينِ[5].

2) ﴿أَعۡصِرُ﴾: العينُ والصّادُ والرّاءُ تدلُّ تصريفاتُها على ضَغطٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/79.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فتى).
(3) المطَرِّزيّ، المُغرِب: (فتي).
(4) الرّاغب، المفردات: (فتى).
(5) القِنّوجيّ، فتح البيان: 6/333.

بِثِقَلٍ بالِغٍ يُسيلُ أو يُنفِذُ ما في الأثناءِ مِن مائعٍ ونحوِهِ، ومِن هذا المعنى: الإعصارُ: وهُوَ الرِّياحُ الشَّديدَةُ الّتي تَهُبُّ مِنَ الأرضِ، وتُثيرُ الغُبَارَ الملتَصِقَ بالأرضِ بسَبَبِ ضَغطِها البالِغِ الشِّدَّةِ، فيَرتَفِعُ كالعمودِ إلى السَّماءِ، ومِنهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ﴾[1] [البقرة: 266]. والعصرُ: الضَّغطُ على شيءٍ حتَّى يتحلَّبَ، فيَخرُجَ ما فيهِ مِنَ المائعِ[2]، ومِن هذا المعنى قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾؛ أي: أعصِرُ عِنَبًا يؤولُ إلى خَمرٍ[3].

3) ﴿خَمۡرٗاۖ﴾: الخاءُ والميمُ والرّاءُ تدورُ اشتقاقاتُها حولَ معنى التَّغطيَةِ والسَّترِ اللَّطيفِ[4]، ومِنهُ الخِمارُ: وهو ما يُستَرُ بِهِ، ثُمَّ غَلبَ استعمالُهُ فيما تُغطِّي به المرأةُ رأسَها، ويُجمَعُ على خُمُرٍ، ومِنه قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ﴾[5] [النّور: 31]. والخَمرُ شَرعًا: اسمٌ لِكُلِّ مُسكِرٍ[6]؛ لقولِ النَّبيِّ ﷺ: «كُلُّ مُسكِرٍ خَمرٌ، وكُلُّ مُسكِرٍ حَرامٌ»[7]، ولا تختصُّ بما كانَ مِنَ العِنَبِ أو التَّمرِ[8]. والخَمرُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ العِنَبُ؛ تسميةً للشَّيءِ باسمِ ما يؤولُ إليهِ[9].

4) ﴿بِتَأۡوِيلِهِۦٓۚ﴾: الهمزةُ والواوُ واللّامُ تدلُّ اشتقاقاتُها على معنَيَينِ كُلِّيَّين؛ أحدهما: ابتداءُ الأمرِ، والآخرُ: انتهاؤُهُ، ومنه: التَّأويلُ؛ وهو تَفسيرُ ما يَؤولُ إليهِ الشَّيءُ[10]، ومِنه قولُ اللّه ﷻ: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾ [الأعراف: 53]؛ فإنَّ معناهُ: هل ينظُرونَ إلّا ما يَؤولُ إليهِ أمرُهُم مِنَ البَعثِ[11]. وتأويلُ الرُّؤى: تفسيرُها بما يؤولُ إليها في واقعِ الرّائي، ويُطلَقُ كثيرًا على المعنى الّذي تُؤوَّلُ بِهِ، ومِنهُ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾، ويُطلَقُ على ذاتِ الواقعَةِ الّتي كانَتِ الرُّؤيا رَمزًا لها، ومِنه قولُهُ تعالى حِكايةً عَن يوسُفَ ﷺ: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ﴾[12] [يوسف: 100].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عصر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عصر).
(3) القِنّوجيّ، فتح البيان: 6/333.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خمر).
(5) الرّاغب، المفردات: (خمر).
(6) ابن عثيمين، الشّرح الممتع: 1/428.
(7) رواه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: (2003).
(8) الرّاغب، المفردات: (خمر).
(9) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 217.
(10) الجوهريّ، الصّحاح: (أول).
(11) الهرويّ، الغريبين: (أول).
(12) المُعلّميّ اليمانيّ، رسالة في حقيقة التّأويل، ص: 43.

5) ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: الحاءُ والسّينُ والنّونُ تدورُ تَصريفاتُها على ضدِّ القُبحِ[1]، والمحاسنُ مِنَ الأعمال: ضدُّ المَساوِئِ، ومِنهُ سُمِّيتِ الجنَّةُ: الحُسنَى؛ ضدُّ السُّوأَى، وهي النَّارُ[2].

والْحَسَنُ: كُلُّ مُبهِجٍ مرغُوبٍ فيه، والحَسَنةُ يُعَبَّرُ بها عَن كُلّ ما يَسُرُّ مِن نعمةٍ تنَالُ العبدَ في نفسِه أَو بَدَنِه ونحو ذلكَ، والسَّيِّئَةُ ضدُّها[3]، والإحسانُ: ضدُّ الإساءَةِ[4]، وحدُّ الإحسانِ شرعًا: «أَن تَعبُدَ اللّه كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَم تَكُنْ تَراهُ؛ فإنَّهُ يَراكَ»[5].

والمُحسِنونَ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ مَن يوصِلُ الخَيرَ إلى الخَلقِ، والمعنى: إنَّا نراكَ ممَّن يُحسِنُ إلى الخَلقِ؛ فأَحسِنْ إلَينا في تَعبيرِكَ رُؤيانا كما أَحسَنتَ إلى غَيرِنا[6].

المَعْنى الإجْماليُّ:

مُقابلةُ يوسفَ عليه السلام في السّجن فَتيين مَملوكَين للمَلِك، لكلٍّ منهما رؤيا عجيبةٌ

بيّنت هذه الآيةُ أنّ مَن بيدهم الأمرُ في الحُكم قضوا بسجنِ يوسفَ فسجنوهُ، ودَخَل معَه السِّجنَ فَتَيانِ، ورأى كُلٌّ منهُما رُؤيا، فَقَصّا ذلكَ عليهِ؛ فقالَ أحدُهُما: إنّي رَأيتُ في المَنامِ أنّي أعصِرُ عِنَبًا لِيصيرَ خَمرًا، وقالَ الآخَرُ: إنّي رأيتُ أنّي أحملُ فوقَ رأسي خُبزًا تأكُلُ الطَّيرُ منه، أخبِرْنا يا يوسُفُ بتفسيرِ ما رأيْنا في منامِنا، مُحسِنًا إلينا في إخبارِكَ إيّانا بذلك، كما نراكَ تُحسِنُ في سائِرِ أفعالِكَ[7].

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ دخولَ السِّجنِ ليس دائمًا دليلًا على أنّه بيتُ المُجرمين والمُنحرفين؛ إذ دخلَهُ صفيٌّ للّه تعالى يوسفُ عليه السلام،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حسن).
(2) الخليل، العين: (حسن).
(3) الرّاغب، المفردات: (حسن).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (حسن).
(5) رواه البخاريّ في صحيحه، الحديث رقم: (50)، ومسلم في صحيحه، الحديث رقم: (9).
(6) السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 397.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 16/94 - 100، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 239.

وإلى أنَّ السَّجينَ كثيرُ الخوف منَ المُستقبل مُحتاجٌ إلى الطّمأنينة، وقد اعتاد البشرُ من قديمٍ على الاستعانةِ بالأحلام للكشف بها عن المجهول، وإذا لم يستطع الحالمُ تأويلَ حُلمه لجأ إلى من يحسِنُه ويشتهرُ بذلك، وإلى أنَّ تعبيرَ الرّؤى تابعٌ لصفاء الرّوحِ وقوّةِ الفِراسةِ، وهي في يوسفَ علمٌ لدنيٌّ خاصٌّ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ﴾:

حَـــذفُ ما دَلَّ السِّياقُ عليه لونٌ منَ الاقتِصاد في اللَّفظِ

الواو في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ عاطِفةٌ هذه الجملةَ على كلامٍ محذوفٍ يُفهَمُ مِن سياقِ القصَّةِ، والتَّقديرُ: بعدَ أن بَدا للعزيزِ وأهلِ مشورَتِهِ سَجنُ يوسُفَ عليه السلام؛ نَفَّذا ما بدا لهُم فسجَنوهُ، ودخلَ معهُ السِّجنَ فتيانِ مِن خَدَمِ المَلِكِ أو مِن عبيدِهِ[2]، ودلّ على هذا الحذفِ قولُه تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾.

نكتةُ التَّعبيرِ بـ(الدّخول):

حسنُ الأدبِ في مَقامِ الكلامِ عَن يوسفَ عليه السلام

عُبِّرَ بالدُّخول دونَ الإدخالِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾، فلَم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (وأُدخِلَ مَعَهُ السِّجنَ فَتَيانِ)؛ وذلكَ لمكانِ التَّعبيرِ بالمعيَّةِ ﴿مَعَهُ﴾؛ فإنَّه يُفيدُ اتِّصافَ يوسُفَ عليه السلام بما يُنسَبُ إليهما، والمناسِبُ في حقِّهِ عليه السلام الدُّخولُ لا الإدخَالُ؛ لقولِهِ قَبلُ: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾، إذِ الإدخالُ مُشعِرٌ بسَلبِ الاختيارِ، فعُبِّرَ بالدُّخولِ مراعاةً لجانبِ يوسُفَ عليه السلام؛ والمعنى: دَخَل يوسُفُ عليه السلام السِّجنَ، ودخل معَهُ فتيانِ[3]. وفيه إشارةٌ إلى أنّ هذا الدّخولَ بغيرِ جريمةٍ ارتكبَها يوسفَ عليه السلام، بل باختيارِهِ الحبسَ على طلبِ المُواقَعةِ، عندما قال:

(1) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 4/321، والجزائريّ، أيسر التّفاسير: 2/612.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 7/359.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/429.

﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾، ولو عَبَّرَ بـ (أُدخل) لفاتَ هذا المعنى.

بلاغةُ إيجاز الحذفِ:

الاستِغناءُ بذِكرِ المَعِيَّةِ عَنِ التَّصريحِ بالدُّخولِ

في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ۝٣٥ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ إيجازٌ بالحذفِ، والتَّقديرُ: فنفَّذوا ما بدا لَهُم، فَسَجَنوهُ، فدخلَ السِّجنَ ودخلَ مَعَهُ فتَيانِ، فاستَغنى عَنِ التَّصريح بدُخولِ يوسُفَ عليه السلام السِّجنَ بدلالَةِ قولِهِ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾[1]، فُطوِيَ مِنَ الكلامِ ما دلَّت القرائنُ عليهِ اقتصادًا في اللَّفظِ.

دلالةُ الظَّرفِ (مَعَ):

التَّشويشُ على ما حَدَثَ مِن فَضيحةِ امرأة العزيز، بنشر خَبَرِ المُؤامَرَة عليه

عَبَّرَ القرآنُ الكريمُ بلفظ ﴿مَعَهُ﴾ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾؛ لأنّها تدلُّ على المصاحبَةِ واستحداثِها والمقارنَةِ لِفعلِ الفاعِلِ في ابتداءِ تلبُّسِهِ بالفعلِ، فهي دالَّةٌ على دخولِ الثَّلاثةِ السِّجنَ في وقتٍ واحدٍ[2]، وقد ذُكِرَ أنَّ سببَ "دُخولِهما هُو رَغبَةُ بِطَانة عَزيزِ مِصرَ في التَّشويشِ على ما حدَثَ مِن فَضيحةٍ كُبرى؛ هي فَضيحةُ مُراوَدَةِ امرأةِ العزيزِ ليوسُفَ، ورَفضِ يوسُفَ لذلكَ، وكانَ التَّشويشُ هو إذاعَةُ خَبَرِ مُؤامرةٍ على العزيزِ، وأنَّ السّاقيَ والخبّازَ قد تَمَّ ضَبطُهُما بمُحاولةِ وَضعِ السُّمِّ لِلعزيزِ"[3].

سرُّ تقديمِ الظَّرفِ ﴿مَعَهُ﴾:

الاهتِمامُ بالمَعِيَّةِ أشدُّ مِنَ الاهتمامِ بالسِّجنِ

قُدِّمَ الظَّرفُ ﴿مَعَهُ﴾ على ﴿ٱلسِّجۡنَ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾؛ لأنَّ الاهتمامَ بشأنِ المعيَّةِ في هذا المَقامِ أشدُّ مِن

(1) ابن جرير، جامع البيان: 16/94، والرّازيّ، مفاتيح الغيب: 18/453، والقِنَّوجيّ، فتح البيان: 6/333.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/243، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/275، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/80، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/429.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 11/6948.

الاهتمام بأمرِ السِّجنِ[1]، لكونِ المعيَّةِ تمهيدًا لذكرِ مبادئِ العِزَّةِ والكرامَةِ ليوسُفَ ﷺ، ولأنّ تقديمَه يُوهِمُ أن يكونَ خبرًا مُقدَّمًا على المبتدأ، وتكونُ الجملةُ حالاً.

معنى اللّامِ في: ﴿ٱلسِّجۡنَ﴾:

بيانُ صحبة الفَتَيَين ليوسُفَ ﷺ في السِّجن

اللّامُ في ﴿ٱلسِّجۡنَ﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ للعَهدِ الذِّكريِّ الصَّريحيِّ؛ لتقدُّمِ ذِكرِه في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾، والمرادُ: دخَلَ مَعَهُ مكانَ السِّجنِ الّذي دخلَهُ يوسُفُ ﷺ فتيانِ.

نكتةُ تأخيرِ الفاعِلِ عَنِ المفعولِ:

الاهتمامُ بالمُقدَّمِ والتَّشويقُ إلى المُؤَخَّرِ مِن مَقاصِدِ البيانِ القرآنيِّ

أُخِّرَ الفاعلُ ﴿فَتَيَانِۖ﴾ عَنِ المفعولِ ﴿ٱلسِّجۡنَ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾؛ لإرادةِ الاهتمامِ بالمُقدَّمِ، والتَّشويقِ إلى المُؤخَّرِ؛ ليتمكَّنَ في النُّفوسِ حينَ وُرودِهِ عليها فَضلَ تَمكُّنٍ[2].

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿فَتَيَانِۖ﴾:

الفتيانُ رمزٌ للقوّة والطّموح، وتأكيدٌ أنّ القدرَ يجري بما نحبُّ وما لا نحبُّ

آثرَ التّعبيرُ القرآنيُّ وصفَ الفتوّة في قولِهِ: ﴿فَتَيَانِۖ﴾ دون القولِ: (غلامان)، وإنْ كان بينهما اشتراكٌ في المعنى؛ إلا أنَّ لفظَ الغلام يُطلَقُ على الشّباب حين بلوغِ سنِّ النّكاح، واستُعملَ بمعنى الشّابِ الّذي بلغَ سنَّ الشّهوةِ أو كادَ يبلغُها، كما في قوله: ﴿قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞۚ﴾ [يوسف: 19]، ويُطلَقُ أيضًا على حقيقة الولدِ ما بين حولَين إلى البلوغ؛ بخلاف الفتى فإنّه استُعملَ بمعنيَين في القرآن؛ الأوّلُ: الشّابُ اليافعُ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾ [الكهف: 13]، والمعنى الثّاني: العبدُ والخادمُ كما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾، وهذا هو المُناسِبُ لهذا السّياق؛ لأنّه لا يكونُ خادمًا لسيّدِهِ حتّى يبلغَ سنَّ الشّباب، حتّى يستطيعَ خدمةَ مولاهُ[3].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/429.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/275.
(3) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 308.

علّةُ الفصلِ في ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ﴾:

تحضير ذهن المتلقّي لمشهد المحاورة

فُصِلَ قولُ الله سُبحانَهُ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا، فبَينَ هذهِ الجملةِ وما قبلَهَا شِبهُ كمالِ الاتِّصالِ؛ وذلك لأنَّ قولَ الله ﷻ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ﴾ يَبعَثُ في نفسِ المُتَلَقِّي سؤالًا؛ وهُوَ: ما صَنَعا بعدَ ما دخَلا معهُ السِّجنُ؟ وأيُّ شيءٍ اتَّفقَ لهما بعدَ دخولِهما؟ فجاء الجوابُ في قولِ الله ﷻ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾[1]. وممّا يُذكَرُ في علّةِ الفصلِ أنّ السّياقَ الّذي وردَت فيه سياقُ المحاورة، والمحاوراتُ شأنُها عدمُ العطف.

دلالةُ التّأكيدِ بـ (إنَّ):

دَفعُ تَوَهُّمِ المزاحِ في السّياقِ دليلٌ على الجدّيَّةِ

أُكِّدَ قولُ الله ﷻ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ بـ (إنَّ)، وكذا في قولِهِ سُبحانَهُ: ﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾؛ إمَّا لأنَّه قد كانَت عادَتُهُما المزاحَ، فأرادَا أن يَدفَعَا توهُّمَ أن تكونَ هذه الرُّؤيا مِن هذا البابِ، فأكَّدَ الإخبارَ بها، وإمَّا لأنَّهُما لَم يرَيا شيئًا، وإنَّما اختَرَعا هذه الرُّؤى اختبارًا ليوسُفَ عليه السلام[2].

سرُّ التَّعبيرِ بالفعلِ المُضارعِ ﴿أَرَىٰنِيٓ﴾:

استِحضارُ صورةِ الرُّؤيا من فصيحِ البيانِ

عُبِّرَ عنِ الرُّؤيا بالفعلِ المضارعِ ﴿أَرَىٰنِيٓ﴾ في قولِ الله سُبحانَهُ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾، وكان مُقتضَى الظَّاهرِ أنْ يَرِدَ النَّظمُ القرآنيُّ: (قال أحدُهما إنّي رَأَيتُني أعصِرُ خمرًا)، ولكنْ عُدِلَ عنِ الماضي إلى المضارعِ لحكايةِ الحالِ الماضيةِ في المنامِ، واستحضارِ صورَتِها كأنَّها حاصِلةٌ في الحالِ[3].

بلاغةُ المَجازِ في ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾:

التَّعبيرُ بعَصرِ الخمرِ فيه مَجازٌ بليغٌ، وإيجازٌ فصيحٌ

في قولِ الله ﷻ: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ مجازٌ؛

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/275.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/81.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/81، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/275.

وذلك لأنَّ الخَمرَ لا يُعصَرُ، وإنَّما يُعصَرُ العِنَبُ الّذي يؤولُ إلى خَمرٍ، ففي الآيةِ مجازٌ مُرسَلٌ باعتبار ما يكونُ، والعربُ تُسمِّي الشَّيءَ باسم ما يؤولُ إليه إذا اتَّضحَ المعنى، ولم يكُنْ ثمَّةَ لبْسٌ، فَيقولونَ: فلانٌ يَطبُخُ دِبسًا، وهو إنَّما يَطبُخُ عَصيرًا[1].

سرُّ التّعبير بـ ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾:

التَّعبير بـ ﴿أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ﴾ دون التعبير بسواه - نحو: (أَعْصِرُ عِنَبًا) - إثباتٌ لآخرِ الأمرِ صراحَةً، وإثباتُ أوَّلِهِ ضِمنًا، ففيهِ تعبيرٌ عَن معنًى كثيرٍ بلفظٍ قليلٍ، فالآيةُ مِن قبيلِ المجازِ والإيجازِ.

التّعبيرُ عَنِ المعنى الكثيرِ بلفظٍ قليلٍ

سرُّ تأخيرِ المفعولِ عَنِ الظَّرفِ:

أُخِّرَ المَفعولُ ﴿خُبۡزٗا﴾ عَنِ الظَّرف ﴿فَوۡقَ رَأۡسِي﴾ مِن قول اللّه ﷻ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾؛ لإرادَةِ الاهتمامِ بالمقدَّمِ، إذ كونُ الحَملِ حاصلًا فوقَ رأسِهِ أهَمُّ مِن كونِ المحمولِ خُبزًا[2].

الاهتمامُ والعنايةُ بمكانِ الحملِ عنِ المحمول

علَّةُ الفَصلِ في ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾:

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لكونِ الجملةِ في محلِّ نصبِ صفةٍ لـ ﴿خُبۡزٗا﴾، وشأنُ الصِّفةِ أنْ لا تُفصَلَ عن موصوفِها بواوٍ، ويجوزُ أن تكونَ الجملةُ مُستأنَفَةً استئنافًا بيانيًّا، فيكون بينَ هذه الجملةِ وبينَ جُملةِ ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾ شِبهُ كمالِ الاتِّصالِ؛ لكونِ الجملةِ المُتقدِّمةِ تبعثُ في نفسِ السّامعِ سؤالًا؛ وهُوَ: ما الّذي قارَنَ حَملَهُ الخُبزَ فوقَ رأسِهِ؟ فجاء الجوابُ: ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾[3].

شبهُ كمالِ الاتّصالِ في المعنى، ودلالته في السّياق

معنى (ال) في: ﴿ٱلطَّيۡرُ﴾:

اللّامُ في ﴿ٱلطَّيۡرُ﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ للعَهدِ

العهدُ الذِّهنيُّ كالنَّكرة، فالآكلُ مِنَ الخبزِ طَيرٌ مِنَ الطُّيورِ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/454، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 10/81.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/275.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/275.

الذِّهنيِّ - بمعناهُ عندَ البلاغيّين لا النَّحويّينَ - ، فيكونُ في المعنى كالنَّكرةِ؛ والمعنى: أحملُ فوقَ رأسي خُبزًا تأكُلُ طَيرٌ مِنَ الطُّيورِ منه؛ إذ لا عَهدَ ذِكريّ تقدَّمَ، ولا عَهدٌ علميٌّ بينَهُ وبينَ المُخاطَبِ، ولا يُرادُ باللّام العُمومُ؛ إذْ لا يُتصوَّرُ أن يأكُلَ كُلُّ طيرٍ خلقَهُ اللّه تعالى مِن خُبزٍ فوقَ رأسِ إنسانٍ، ولا يُرادُ باللّام الحقيقةُ مِن حيث هِيَ بقَطعِ النَّظَرِ عنِ الأفرادِ؛ لأنَّ الحقيقةَ لا يصدُرُ منها أكلٌ كما لا يَخفى، فتعيَّنَ أن يكونَ المرادُ بها لامَ العَهدِ الذِّهنيِّ.

علَّةُ الفصلِ في ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾:

أثـرُ الاستئنافِ البيانيِّ في إبرازِ مُتابَعَةِ المُتَلَقِّي

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا، فبَينَ هذهِ الجُملَةِ وما قبلَها شِبهُ كمالِ الاتِّصالِ؛ وذلك لأنَّ حكايةَ الرَّجُلَينِ لِما رأياهُ في المنامِ يُورِثُ سؤالًا؛ وهو: ماذا تُريدانِ مِنَ الإخبارِ بهذا؟ فجاء الجوابُ: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾؛ أي: أخبِرْنا بتفسيرِ هذه الرُّؤى[1].

سرُّ التَّعبيرِ بالإنباءِ:

عَظَمَةُ مَنزِلَةِ عِلمِ التَّعبيرِ وجلالةُ قَدرِهِ

عُبِّرَ بالإنباءِ دونَ الإخبارِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾؛ للإيماءِ إلى عَظَمَةِ مَنزلَةِ التَّعبيرِ، وأنَّ الإخبارَ بتفسيرِ الرُّؤى عظيمٌ جليلٌ؛ أو أنَّ وقوفَهُما على تفسيرِ ما رأياهُ عظيمٌ قَدرُهُ عندَهُما، وهذا يُقوِّي قولَ مَن ذهبَ إلى أنَّهما رأيا ذلك حقًّا، ولم يَختَلِقاهُ.

نكتةُ العدولِ عنِ التّثنيةِ إلى المُفردِ:

قد يَجري ضَميرُ المُفردِ مجرى اسمِ الإشارةِ فيعودُ على مُتَعَدِّدٍ

قولُ اللّه تعالى: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾، وفيه أنّ الضَّميرَ في ﴿بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓ﴾ يَرجِعُ إلى ما تقدَّمَ مِنَ الرُّؤيَتينِ، وكان مُقتَضى الظَّاهِرِ أنْ يَرِدَ النَّظمُ القرآنيُّ: (نبِّئنا بتأويلِهما)، ولَكِنْ عُدِلَ عن ذلك بإجراءِ الضَّميرِ مَجرَى اسمِ الإشارةِ (ذَلِكَ) على جهةِ الاستعارةِ؛ وذلك لأنَّ اسمَ الإشارَةِ قَد يُشارُ بِهِ إلى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/81.

مُتعدٍّ[1]. ويُقالُ: وإنّما وحَّدَ الضّميرَ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما سألَ عن رؤيتِهِ؛ فكأنّ كلَّ واحدٍ منهما قالَ: نَبِّئْنا بتأويلِ ما رأيتُ[2].

علَّةُ الفَصلِ في: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

شبهُ كمالِ الاتِّصالِ في المعنى، ودلالتُهُ في الجملة

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لكونِهِ استئنافًا بيانيًّا؛ إذْ بينَ هذه الجملةِ وما قبلَهَا شِبهُ كمالِ الاتِّصالِ؛ وذلك لأنَّ حكايةَ الرَّجُلَينِ لما رأَياهُ، وطلبهما مِن يوسُفَ عليه السلام تعبيرَ ذلك في قولِهِم: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ يُورِثُ سؤالًا، وهوَ: وما يُدريكُما أنَّني أعرِفُ تأويلَ الرُّؤى؟ فجاء الجوابُ: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فكانت هذهِ الجملةُ تعليلًا لِعَرضِ رُؤياهُما عليهِ واستِفسارِهما منهُ[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿نَرَىٰكَ﴾:

ظُهورُ إحسانِ يوسُفَ عليه السلام، ودلالتُهُ في القصّة

جاءَ التَّعبيرُ بفعلِ الرُّؤيَة ﴿نَرَىٰكَ﴾ من قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ ليكونَ بمنزلَةِ قَرنِ الحُكمِ بدليلِهِ، فلمْ يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (إنَّك مِنَ المُحسنِين)؛ والمعنى من ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ إنَّك مِنَ المُحسنينَ، ونحنُ نَعلَمُ ذلك عِلمًا جازمًا كالرُّؤيةِ، ونرى أدلَّتَهُ وشواهِدَهُ[4].

دلالةُ التّعبيرِ بصيغةِ التّكلُّمِ في: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾:

الصّيغةُ واقِعةٌ في الحكايةِ دونَ المَحكيِّ

جاء التّعبيرُ بصيغةِ التّكلُّمِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأنّها واقعةٌ في الحكايةِ دونَ المَحكيِّ بناءً على الظّاهرِ، أو لأنّ المُخاطَبَ ينكرُ كونَ المُتكلِّمِ عالمًا بالحكمِ أو يتردَّدُ، فجُعِلَ كالمُنكِرِ[5].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/275، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/430.
(2) السّمين، الدّرّ المصون: 6/496.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/81، والآلوسيّ، روح المعاني: 6/430.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/81.
(5) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 10/322.

سرُّ اختيار التّعبيرِ بالإحسان:

اختار التّعبيرُ القرآنيُّ وصفَ الإحسان دونَ غيرِه؛ لأنّه لفظٌ جامعٌ لِما جرى من يُوسفَ ﷺ في السّجن؛ فيشملُ الإحسانَ الاجتماعيَّ من حيث معاملتُهُ الحسنةُ لأهل السّجن؛ فإذا مَرضَ إنسانٌ في السّجن قامَ عليه، وإذا احتاجَ جَمعَ له، وإذا ضاقَ عليه المكانُ أوسعَ له، ونحو ذلك منَ الأمور الأخلاقيّةِ الّتي يظهرُ فيها إحسانُهُ الخُلُقيُّ، ويشملُ أيضًا الإحسانَ التَّعبُّديَّ المُتَضَمِّنَ توثيقَ صِلتِهم باللّه تعالى، والإحسانَ العلميَّ في تفسير الرّؤيا، وعلى ذلك فالتّعبيرُ بالإحسان لفظٌ عامٌّ يشمَلُ كلَّ أنواع الإحسانِ[1].

التّعبيرُ بالإحسان لفظٌ عامٌّ، يشمَلُ كلَّ أنواعِ الإحسان المتُصوَّرةِ

غرضُ التَّعبيرِ بالجمع في ﴿مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾:

جاء التَّعبيرُ عَن إحسانِ يوسُفَ ﷺ بـ ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالجمع، دونَ أن يُقالَ: (إنَّا نَراكَ مُحْسِنًا) على جهة الإفرادِ؛ لكونِ الأوَّلِ أبلغَ في وصفِهِ بالإحسانِ؛ لأنَّهُ يُفيدُ عراقَتَهُ في اتِّصافِهِ بهِ ما لا يُفيدُهُ (إنّا نراكَ مُحسنًا)، ولذا فرَّقَ العُلماءُ بينَ قولِ القائلِ: زيدٌ منَ العُلماء، وقولِه: زيدٌ عالمٌ، فالأوَّلُ أبلغُ؛ لاقتضائِهِ أنَّه غارقٌ في العلمِ أبًا عَن جدٍّ، وأنَّكَ تشهَدُ لهُ بكونِهِ معدودًا في زُمرَتِهم، ومعروفًا إسهامُهُ لَهم في العِلم[2]. وفي هذا دليلٌ على أنّهم ما وصفوه بالإحسان إلّا لغلبةِ ظهورِ هذه الصّفةِ على يُوسفَ ﷺ في جميع معاملاتِهِ.

عَـراقَـةُ يوسُفَ ﷺ في الاتِّصافِ بالإحسانِ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التَّأويلُ والتَّفسيرُ:

التَّأويلُ في اللُّغة: عاقبةُ الشَّيءِ وما يؤولُ إليهِ، وأمَّا التَّفسير فهو بيانُ الشَّيءِ وإيضاحُهُ، مأخوذٌ منَ الفَسرِ، وهو رفعُ الغِطاءِ عَنِ الشَّيءِ. وقد وردَ التَّأويلُ في مَواضِعَ منَ القرآن الكريمِ، منها قولُ

يتميَّزُ لفظُ التَّأويلِ ببيانِ ما غَمُضَ معناهُ واشتَبَهت مقاصِدُهُ

(1) مجمع البحوث الإسلاميّة، التّفسير الوسيط: 4/321.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/81.

اللّه ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: 6]، وقولُهُ تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: 7]، بخلاف التَّفسيرِ؛ فإنَّه لم يَرِدْ في القرآنِ إلّا في مَوضِعٍ واحدٍ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ٣٣﴾ [الفرقان: 33]. والتَّفسيرُ والتَّأويلُ بينَهُما تقارُبٌ في الدّلالةِ؛ لاشتراكِهما في معنى البيانِ والإيضاحِ، إلَّا أنَّ التَّأويلَ يمتازُ ببيانِ ما غَمُضَ معناهُ، واشتبهَت مقاصِدُهُ، ويفتَقِرُ إلى تأمُّلٍ وتبَصُّرٍ[1]؛ ولذا ناسبَ ورودُهُ في الآية الكريمة لِتضمُّنِ الرّؤيتين رموزًا فيها غموضٌ، تحتاجُ إلى إيضاحٍ وفكٍّ.

(1) محمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة، ص: 94 - 95.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»